المبحث الثّاني

التّربيـــة الصّالحة

التّربية في لغة العرب تعني التنمية والرِّعاية ، وتعني بالنسبة للإنسان رعايته إعطاءً ومتابعةً في جوانبه الجسميّة والعقليّة والرّوحية ولكنّها تتركّز بشكل أولي على رعاية جانبه الإنساني فكراً ووجداناً من خلال فلسفة معيّنة للحياة .

أمّا التّربية الإسلاميّة فإنّها رعاية الإنسان في جوانبه المذكورة من خلال منهج الإسلام لينضبط هذا الإنسان بهدى الشّريعة ويستهدف غايتها وهي العبوديّة لله والخلافة في الأرض[1] .

وعلى الرّغم من تطوّر نظريّات التربية وتطبيقاتها وكثرة تجارب البشريّة فيها في عصرنا الحاضر إلا أنّ الشّكوى المرّة ما تزال تدور من قبل العقلاء والمهتمّين من واقع هذه التّربية منبّهين على المأساة التي تعانيها المسالك التّربويّة عامة – في هذا الزّمن – والمتمثّلة بإهمال أو تحطيم الجانب القيمي والرّوحي لدى النّاشئ ممّا يجعله يتحوّل – حتى لو تخرج متفوّقا في فنٍّ معرفيّ – إلى مسخ جاف المشاعرَ مهتز القيم يساوره الشّعور بفقدان هدف وجوده .

إنّها تربية – كما يقول " دجار فورد " – « لا تساعد الإنسان على اكتشاف نفسه وفهم عناصر شخصيّته وعمليّات الذكاء والقوانين التي تحكم تطوّره الفزيولوجي ومعنى تطلّعاته وأحلامه وطبيعة العلاقات بين فرد وآخر أو بينه وبين المجتمع ، ولذلك فهي تربية تهمل واجبها الأساس في تعليم الإنسان فنّ الحياة والحبّ والعلم وتجسيد أفكاره ومثاليّاته في المجتمع الذي يعيش فيه »[2] .

---

(١) انظر توصيات المؤتمر العالمي الأوّل للتعليم الإسلامي بمكة – المسلم المعاصر ، العدد ١٠ في ١٣٩٧ هـ.

(٢) تطوّر مفهوم النّظريّة التّربوية الإسلاميّة، ماجد عرسان كيلاني ، ص ٢٥٣ ، مصدر سابق .

ولا شكّ أنّ تربيةً تفقد التّوجيه السّليم في هذه القضايا الأساسيّة في الوجود الإنساني لا توصف بأنّها قاصرة أو مريضة بل ميِّتة فاقدة للحياة ، ولا غرابة أن تقع أمّة انحسرت منها الرّوح الدِّينية ، وطغت في حياتها الروح الماديّة على حساب القيم الخلقيّة ، واقتصر نظرها على الدّنيا دون الآخرة في هذه الحالة البائسة وأن تنتهي إلى هذه الأزمة : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾[1] .

لكن الغرابة والأسى أن تَطَّرح بعض مجتمعات المسلمين الهدى الذي جاء به نبيّها في هذا المجال وهو الحقّ الذي لا يحقّق الوجود البشري إنسانيّته وكماله إلا به لتستعيض به تلك النّظريات التربويّة التي شهد أهلها لا بفشلها بل بضررها وتدميرها لحياتهم وإنسانيّتهم .

إنّ الواحد ليتألم نفسياً حينما يجد كثيراً من أبناء المسلمين المتعلّمين يفقدون معرفة أساسيّات البناء التربوي للعقل والنّفس والسّلوك وتطبيقها ، تجد برودا إيمانياً واعتقاداً إرجائياً يصوِّر له أنّ مجرّد انتسابه للإسلام وإعلانه له كاف في صحّة انتمائه وصدق دينه وفلاحه الأخروي ، تجد جفافاً في المشاعر وتركاً للعبادات ، وخللاً في المشاعر المتبادلة بين المسلمين وتفريطاً في الحقوق وبعداً عن الله وإعراضاً عن ذكره وانسياقاً مع المصالح المادية على حساب الإيمان والأخلاق وطلب الآخرة .

تجد أناساً لا يعتزون بإسلامهم ، ولا يدينون بالولاء له ولأمّتهم ، وإنّما ولاؤهم لأهوائهم وشهواتهم ، أو لفلسفات وأحزاب تناقض دينهم وتحاربه .

ومهما تعدّدت الأسباب التي أفرزت الأجيال التي تحمل هذه السّمة

---

(١) الآية رقم (٤٠) من سورة النور .

البئيسة فستكون التّربية التي رضعوا لبانها وتراموا في أحضانها على عين عدوّهم المستعمر أو بديله المماثل له هي السّبب الأكبر والأخطر .

لقد أنقذ الله المملكة العربيّة السّعودية من هذه الصّبغ التربويّة المقيتة لنجاتها من الاستعمار ، ولاعتمادها الإسلام منهجاً لحياتها فجاءت الثّمار التّربوية مغايرة لتلك الثّمار .

التّربية التي أخذت بها المملكة هي التّزكية التي مارسها الرّسول ﷺ مع أصحابه فحوّلهم بها خلقاً جديداً باهتماماته ومواقفه ، وغاياته وسلوكه الحياتي .

وهي التّربية التي حددتها الدعوة السلفية التي ظهرت في أمّة تراجعت كثيراً؛ تخلّفاً وجهلاً عقدياً وعبادياً وتنظيمياً، فاستطاع رائدها بهذه التّربية تدريساً ومراسلةً وربطاً بالأصول الصّحيحة أن يبعث صوراً بشريةً تحاكي النّماذج الأولى، وتسعى لتمثّلها الشّمولي للإسلام قوّة اعتقاد وصراحة التزام للشّريعة وولاءً صادقاً للإسلام ودعوته ودولته ونظراً للوجود كلّه من خلال منظار نصوص القرآن والسنّة .

وفي القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي أعاد الملك عبد العزيز توحيد الجزيرة بعد تبعثرها وتفكُّك وحدتها، واستطاع هو الآخر بالتّربية وفق ذلك المنهج المتوارث بالذات قبل انفتاح المملكة على العالم الخارجي أن يوجد جيلاً نموذجياً في تديّنه وهمّته وجدّه ووفائه حتى أصبح مثار إعجاب الآخرين وغيظهم في الوقت نفسه .

ولا أقصد بذلك مشروع توطين البدو وإقامة الهجر لتعليم الدّين وإقامة صلاة الجماعة ، وهو المثال الأبرز في أثر التّربية التي قامت بها الدّولة في عهد الملك عبد العزيز ، لا أقصد هذا المشروع فقط ، ولكني أقصد اتّجاه الدّولة ككلّ

للحضر والبدو وتعميق التّربية الإسلاميّة باتّخاذ الوسائل الكثيرة تعليماً ، وإرشاداً ، وحلقات قرآن ، وغيرها ممّا جعلها في ذلك الوقت تقلب الأوضاع ابتداءً بنفسيات الناس ثم حركتهم في الحياة ، وبالذات في التفاني لإعلاء كلمة الله ، وجعل الفضيلة مناط الهمّة والعمل .

وحسبي أن أشير إلى بعض ما ذكره المتأملون في تلك الظّاهرة التي كما يقول «جلال كشك» : « خرجت رجالا يولدون من جديد بعد مرورهم في تيار أيديولوجي يعيد تشكيل فكرهم وسلوكهم فيتحرّكون ويتكلّمون ويتعاملون ويحبّون ويموتون بملامح فوق بشريّة »[1] . وينقل كشك بعض انطباعات الغربيين عنهم مثل وصف هاريسون للرِّياض عام ١٣٣٦هـ : « هذه المدينة يعيش سكانها للعالم الآخر ، المئات يدرسون في المساجد ليخرجوا وعاظاً ويتوجّهون لهداية القبائل البدويّة ، إنّها -أيّ الرِّياض - مركز نظام تعليمي ديني يمتدّ إلى كلّ قرية وسط الجزيرة ويقدم التّعليم للجانب الأكبر من ذكور المدن . . . ومن الممكن أن نقول بأنّه ما من مدينة يهتمّ رجالها بالعالم الآخر أكثر من اهتمامهم بهذا العالم مثل الرِّياض ، وهم لا يعرفون العشاء المتأخر بل يأكلون الوجبة الأخيرة قبل الغروب بساعة ليكون لديهم الوقت الكافي للقراءة والعبادة قبل النّوم ، وهذا هو البرنامج المعتاد حتى في بيت عبد العزيز نفسه »[2] .

ويذكر كشك صورتين فرديتين تحكيان أثر هذه التربية :

أولاهما من الريحاني عن شاب من عامة الناس اكتروا بعيره في بعض أسفارهم اسمه « نوار » .

---

(١) السّعوديون والحلّ الإسلامي ، ص ٥٦٩ .

(٢) المصدر السّابق ، ص ٥٨٠ .

وثانيتـهما من حسن وهبة عن الشّيخ عبد الله بن حسن آل الشّيخ الذي رافقه في رحلة للمدينة المنوّرة، والذي أنكر على وهبة بعض تصرّفاته التي يرى عدم لياقتها لسمت المؤمن، ولكن وهبة اعترف « بأنّ الشيخ كان نعم الرّفيق المؤاسي أثناء مرضي، فقد كان لا يرضى إلا أن يسقيني الدّواء بنفسه؛ ممّا يدلّ على ما فطر عليه هؤلاء من الإخلاص وطيبة القلب لا يحملون حقداً لأحد ولا يبغضون إلا حيث يعتقدون أنّ منكراً اقترف أو أنّ حقاً من حقوق الله قد أضيع أو أهمل »[1]. وهي الخصائص نفسها التي ذكرها الريحاني عن نوار الإنسان البسيط، ولكن بلا ريب أنّ ذلك الزخم التربوي والتفاعل الاجتماعي معه خفا عمّا كان عليه ، وقامت إلى جانب العمليّة التّربويّة مؤثّرات أخرى لا تعضدها، بل في كثير من الأحيان تصادمها بعد أن انفتح المجتمع السّعودي على المجتمعات الأخرى وتفاعل معها .

ولكن المسار التربوي لم يتغيّر لا في أهدافه ولا في انضباطاته ، وقد سبق تجلية ذلك فيما سبق حيث بيّنا السّياسة التّعليمية للمملكة التي التزمت بالخيار الإسلامي بشكلٍ واضحٍ وحاسم وعليها تقوم العمليّة التّربوية في مختلف قطاعات التّعليم وحلقات تعليم القرآن ودروس المساجد والأنشطة الشّبابية كالمراكز الصّيفيّة ، وهي العمليّة التي أثمرت في الواقع عقلياً ونفسياً وحركياً ثماراً تتميّز عمّا أنتجته النّظم التّربوية في المجتمعات الإسلاميّة الأخرى .

وباختصار أشير إلى ما يوضّح المقصود :

* التّربية التوحيديّة الرّابطة للإنسان بخالقه ارتباط عبد بمعبود :

فلقد غرست الثّقافة الإسلاميّة التي أخذت بها المملكة في مناهجها

---

(١) السعوديون والحل الإسلامي، ص ٥٨٥ .

التعليميّة حقيقة الإيمان بمبادئ الإسلام وأوّلها توحيد الله في أنواعه الثلاثة (الرّبوبية والألوهيّة والأسماء والصِّفات) حيث ترسخ في وجدان المجتمع في وضوح تام عمّا ينبغي وما لا ينبغي من متعلّقاته، فالشّخص كبيراً أو شاباً لديه وعي ذهني وحساسيّة وجدانيّة تجاه مسائل الإيمان والكفر والنّفاق والشرك والبدع ، والغيبيات كصفات الله وأمور الحياة الآخرة حتى أصبح الوجود أمام الشّخص كأنّه خريطة محدّدة المواقع والتضاريس والأبعاد .

وتستطيع إدراك قيمة هذا الوضوح في قضيّة التّوحيد ومسائل الإيمان لدى المتلقّين لهذه التّربية بالمقارنة بآخرين من أبناء المسلمين الذين تلقّوا في دراساتهم خليطاً من التصوّرات الفلسفيّة والنّظريات الإنسانيّة والكونيّة عن الوجود والإنسان والحياة فتشوشت أذهانهم وفقدوا الرّؤية الصّحيحة التي رسمها خالق الوجود ومدبّر حركته ، إنّه من السّهل عليك أن تلتقي بشباب مسلم بل مثقف وعالم أحيانا يلمّ شتاتا من المعارف المنوعة ولكن قضيته الكبرى « التّوحيد » غائبة عن تصوّره أو باهتة في ذهنه ، يقول « لا إله إلا الله »، لكنه لا يعي أركانها وشروطها ويؤكّد إيمانه ولكنه يقع فيما يناقضه دون أن يشعر بالخطر ، أمَّا الشّركيات والبدع فإنّ كثيراً منهم يتصوّرها من الدّين تبعاً لما هو رائج في بيئته وبسبب فقدان التّربية التي تغرس التّوحيد والإيمان الصّحيح في نفس النّاشئ لتقاوم الصّور الاجتماعيّة الناشزة عنه .

أمّا غير المسلم فإنه بلا شكّ يفقد أوليات ما يتعلّق بالإيمان والتّوحيد ، والتّصورات السّليمة للوجود .

ولهذا فعلى الرّغم من الآفاق التي بلغها العلم التجريبي المعاصر ، والقوانين الكونيّة التي وصل إليها إلا أنّ رجال هذا العلم والفلسفة فضلاً عمن

وراءهم يعيشون - ويا للمفارقة- اختناقاً فكرياً وتصوّرياً عن هذا الكون الذي هو مجال دراستهم ، بل إنّ هذه الدّراسة ذاتها بحكم كونها جزئيّة ، وغير مرتكزة على تصور شامل صحيح للوجود تسهم في إحكام هذا الاختناق ، ولهذا لا غرابة أن يقول مثل إينشتين : « إنّ كلّ ما جمعته من معلومات عن الكون لم يقدم لي عنه إلا أنّه لغز مقفل »[1] .

وفانفر بوش في كتاب " ليس بالعلم وحده " يؤكّد « أنّ الذي يتبع العلم وحده يصل إلى حاجز يمنعه من متابعة الرّؤية »[2] .

إنّ هذا الشعور بالعمى عما يتجاوز تلك الجزئيّات التي يبحثونها في عناصر من هذا الكون جماده أو نباته أو حيوانه غير موجود لدى الإنسان الذي تلقى هذه التّربية الإسلامية حتى وهو طالب في الثانويّة، إنّه يعرف ما وراء هذا العالم المادي الصّغير من عالم غيبي كبير بسمواته وملائكته ، ويعرف الإله الذي خلقه وخلق العالم كلّه، الأوّل قبل كلّ شيء والآخر بعد كلّ شيء والظّاهر فوق كلّ شيء والباطن دون كلّ شيء ، إنّه يعرف أنّ وراء هذه الحياة الدّنيا القصيرة الفانية حياةً لا نهائية هي الحياة الحقيقيّة، وأنّه سيجري فيها أوضاع معيّنة، وأن بها دارين عظيمتين سينتهي إليهما الناس هي الجنّة التي يعرف صفاتها والنّار التي يعرف أيضاً ما فيها .

يعرف هذا كلّه بيقين راسخ أنّه الحقّ الذي لا مرية فيه ، موقناً أنّ كلّ هذه الأشياء راجعةٌ إلى الله الذي منه بدأت وأنّ كلّ ما يكشف العلم من مجهولات الكون وعناصر جزئياته من بنية الوجود الذي أتقن مبدعه صنعه .

---

(١) نهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمّد سعيد البوطي ، ص ١٣٦ ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ.

(٢) ليس بالعلم وحده ، لجنة من الأساتذة، ومنهم : فانفر بوش ، ص ٢٤ ، دار الآفاق، بيروت .

وهذا يفضي بنا إلى ثمرة تربويّة أخرى مهمّة يجدها متلقي هذا التعليم في نفسه – في خلواته وحتى تعامله مع الكون المحيط به – وهي الشّعور بالسّلام والأنس بالكون المحيط بالإنسان والعلاقة الحميمة بموجوداته[1] التي جعلها الله ميداناً لنشاط الإنسان ومجالاً لاستثماره وانتفاعه . ولكنه حبّ للكون وعلاقة به لا تطغى على ما هو أولى منها وهي العلاقة بالله حباً وعبوديةً وخضوعاً له سبحانه وثقة به تعالى .

وفق هذه الرّؤية تقوم علاقة المسلم بالكون وخالق الكون ، وتتكامل في خدمتها معارفه العلميّة القائمة على التّجربة والملاحظة مع معرفته العقديّة وإيمانه ، وبهذا يتمّ الانسجام بين عقله ووجدانه .

وإنّما ندرك روعة هذه الثّمرة للتّربية الإسلامية في نفس المسلم إذا قارناها بما يقابلها من النّظرة الوثنيّة التي سادت الفكر والتّعليم في أوربا ومنها انتقلت إلى المسلمين وأثّرت في مناهجهم التّعليمية ، تلك النّظرة الوثنية هي التي انبثقت منها النّظريات التّربويّة وهي التي تزيل منطق السّلام من فكر الإنسان ونفسه ليظل أسير صراع منهك، إنّها نظرة –كما يقول جروس وستانسيو–« تخلق قطيعة بين العلوم والفنون وتولد خصومة بين العلم والدّين وتضع خبرة العلوم المتخصّصة والخبرة العامة على طرفي نقيض ولا ترى استمرارية بين العلم الحديث، والفكر والقيم ، وهي تقوِّض في نهاية الأمر أسس العلم ذاته، وهي بهذا المعنى لا تتفق مع نفسها، ومن العسير تصوُّر افتقارٍ إلى الوحدة يفوق هذا الافتقار »[2].

---

(١) من التعبيرات الموضحة الجميلة قوله ﷺ : « هذا جبل يحبّنا ونحبّه » . أخرجه مالك في الموطّأ ، قال محقق جامع الأصول : « حديث صحيح» . ٩/ ٣٣٨.

(٢) العلم في منظوره الجديد، جروس وستانسيو، ترجمة كمال خلايلي، ٣٦، سلسلة عالم المعرفة ، ١٤٠٩هـ.

إنّ التّربية الإسلاميّة وفق المنهج السّلفي الذي تتبنّاه المملكة تحقّق خلافاً لهذا الصراع القاتل في الوثنيّة، توحّد الإنسان مع الكون المحيط به وتوحيده لله معها؛ لأنّه يوقن منذ تفتح ذهنه وقراءته للقرآن أنّ هذا الكون بجماده ونباته وحيوانه، يعبد ربّه ويسجد له ويسبّح بحمده ويصلّي له، وإن كان يعي أنّ محدوديّة قدراته البشريّة تجعله لا يفقه صلاتها ولا تسبيحها، ولكنه يعلم أنّه بتوحيده لله وعبادته له ينسجم مع هذا الكون وحركته في التّوجُّه لله.

أيضاً فإنّ ممّا تغرسه التّربية السّليمة إقامة المعنى الصّحيح للعبادة في حركة المسلم بصفتها غاية وجوده ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[1] سواء كان ذلك بمفهومها العام الذي تشمل به كلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة[2] أو بمعناها الخاص المتمثّل بالشّعائر التعبّدية صلاةً وصياماً وحجاً ونحوها، حيث يتجلى أثر هذه التّربية في السّمة الاجتماعيّة العامة للمجتمع السّعودي من الحيثيات الكثيرة المتعلّقة بهذه العبادات:

- الحرص على الوفاء بها واستكمال شروطها واتقاء مبطلاتها بالسّؤال والتحري.
- الاهتمام بالفرائض والمبادرة إليها صلاةً وصياماً وحجاً ونحوها وتعظيمها وتقديمها على ما سواها، فإنّ الله لا يقبل النّوافل حتى تؤدى الفرائض، والشّعور بضياع من يهملها ويتكاسل عنها وفساده، والاسترابة منه والرّثاء لأولئك الذين يستهينون بالفرائض والعبادات المشروعة متحمسين لعبادات وصور من الأعمال إمّا أنّها غير مأثورة أو ثانوية بالنّسبة للفرائض.

---

(١) الآية رقم (٥٦) من سورة الذاريات.

(٢) انظر: العبوديّة لابن تيمية، ٤٤، مصدر سابق.

- تجنُّب البدع والمحدثات في مجال العبادات، والتديّن، والتزام السنّة، واليقين بأنّ كلّ بدعة ضلالة ، ومحاولة التزام السنّة في الهدى والعمل حتى صارت الحنبلية وصفاً يطلق في عصرنا الحاضر لدى الدوائر الفكرية والمؤسّسات العلمية ونحوها على منهج المملكة في تطبيق الإسلام، وهي نسبة إلى أحمد بن حنبل - رحمه الله - الذي كان من أكثر الأئمة الأجلاء تشبثاً بالسنّة وأخذاً بالنّصوص لأنه محدّث بالدّرجة الأولى ، ولأنّه نموذج الثّبات على مقرّرات النّصوص، أيام المحنة العباسيّة .
- الحرص على صلاة الجماعة والثبات على رأي أنّها واجبة وأنّ الإنسان يأثم بتركها من غير عذر، وقد أثمر ذلك نهضة عمرانيّة للمساجد فاقت التطوّر العمراني نفسه ، وأقيمت مساجد أو مصليات في المدارس والدوائر الحكوميّة لأداء الصّلاة فيها جماعةً .
- الرّغبة في نوافل العبادات والتّطوّعات الخاصة صلاةً وزكاةً وصوماً والتّنافس في ذلك لدى كثير من الناس والحرص على الأذكار والأدعية وقراءة القرآن .
- والارتباط بالله والشّعور بمعيَّته ، وسرعة الأوبة إليه لمن حصل منه شرود وغفلة .

لا أقول: إنّ هذه الصّور متوفّرة لدى كلّ الناس ، ولكني أقول: إنّها تمثّل بعمومها سمة للمجتمع يلحظها كلّ ناظر إليه خاصة إذا قدم إليه من بعض المجتمعات التي سعى الأعداء لاجتثاث بذورِ التّربية الإسلاميّة فيها فتحولت إلى مجتمعات لاهية صبغتها الإسلاميّة باهتة؛ قلةً وتخلّفاً في مساجدها، وجهلاً ببدهيات العبادات الشعائرية وقلة في ارتياد هذه المساجد ، ووقوعاً في البدع . . . إلخ .

* والإيمان بالقضاء والقدر إيماناً حاسماً وإيجابياً من الآثار الثقافيّة لأخذ المملكة بالعقيدة الإسلاميّة وفق منهج السّلف الصّالح .

إنَّ الإيمان بالقضاء والقدر يتضمّن الإيمان بالأمور الأربعة التالية :

- الإيمان بعلم الله السّابق للأشياء كلّها ما كان منها وما سيكون .
- الإيمان بأنّ الله قد كتب في الأزل كلّ ما يتعلّق بالوجود من أحوال وأحداث .
- الإيمان بأنّه لا يحدث شيءٌ إلاّ بمشيئته سبحانه سواء كان ممّا يفعله البشر أنفسهم بمشيئتهم أو ممّا يحدث دون إرادة منهم .
- الإيمان بأنّ الله خالق كلّ شيء .

وهذه يتلقاها النّاشئ في دراسته الابتدائيّة والمتوسّطة بصورة واضحة فتصبح مرتكزاً لتفكيره وحركته .

وإيمانه بالقدر يعني إيمانه بحكمة الله في أفعاله فكلّ ما يجري في هذا العالم قائمٌ على الحكمة حتى وإن لم يدرك الإنسان أبعادها في هذه الحياة .

إنّه بقدر وضوح هذا الإيمان بالقدر بمراتبه الأربع السّابقة، يقوم إيمان المسلم بمسؤوليّة الإنسان عن عمله وارتهانه به ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾(١) وبأنّه إذا قصر في المطلوب منه أو فعل المحرم عليه سيحاسب على تقصيره وفعله؛ لأنّه اتّجه إليه وعمله بحريّته واختياره، ممّا يدركه من نفسه كلّ إنسان ؛ لأنّ حركة الإنسان ليست نداً للقدر الجاري بأمر الله ولكنها متضمنة فيه ، ففعل الإنسان طاعة أو معصية من القدر وهو محسوب للإنسان أو عليه؛ ولهذا فإنّ النتيجة بالنّسبة لموقف المسلم إيجابيّة من ثلاث جهات :

- من جانب شعوره بالمسؤوليّة عن عمله الذي يفعله اختياراً .
- وشعوره بهيمنة الله عليه في هذا العمل وأنّه ليس سيد قدره .

---

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الطور .

- وشعوره أمام الأحداث التي لا اختيار له فيها أنه لا مجال له للتّحسّر ولا للاعتراض، وكيف يعترض على فعل يعلم أنّ به الحكمة والعدل لأنّه من الله الحكيم ، بل إنّه يستطيع توظيف هذه الأحداث التي لا خيار له في وقوعها لمصلحته الظاهرة بالصّبر والشّكر الذي به يكون مردودها عليه رضاً من الله وإمداداً له بالنّفع والثّواب[1] .

ولهذا نجد أنّ ما يوجد في مجتمعات أخرى من لطم الخدود والاعتراض على الله في قدره، أو التّساؤل ببلاهة عمّا وراء الأحداث من حكمة، أو الجراءة على الله ونفي الحكمة عن أفعاله لا يوجد بحمد الله في المجتمع السّعودي على شكل ظاهرة واضحة في السّاحة وإن وقع فيه أفراد لدى اهتزازهم أمام المصائب الحادة .

* ومن ثمار التّربية القائمة على الثقافة الإسلاميّة **تزكية الفطرة** التي برأها الله - سبحانه وتعالى - لدى كلّ إنسان متّجهة إلى الله محبة للفضائل نافرةً من الرذائل ولكنها قابلة للتّأثيرات المحيطة بها، فإن كانت التأثيرات إيجابية منسجمة مع ما فيها من نزعات إيمانية وخلقية زكت وسمت وتعالت بها إنسانية صاحبها ، وإن كان العكس وتلاعبت بها مؤثّرات تضاد تلك النّزعات، وتعمل على طمسها وإفسادها، فإنّ صاحبها يفقد هدف وجوده وتنحسر شاعريته بالقيم الإنسانيّة، وتتضخم حيوانيّته على حساب روحه وإنسانيّته، وتتحكم به شهواته العاجلة .

ولمّا كانت التّربية في المملكة قائمةً على مرتكزات الثقافة الإسلاميّة

---

(١) روى مسلم في صحيحه أنّه ﷺ قال : « عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له ». صحيح مسلم، ٤/ ٢٢٩٥ ، حديث رقم [٢٩٩٩] .

الأصليّة في تصوّرها للوجود وعلاقات الإنسان بخالقه والعالم من حوله ، وفي القيم الخلقيّة التي قرّرتها تعاليم الكتاب والسنّة وهي القيم التي جبل الله عليها الإنسان في خلقته الأصليّة الصّحيحة ؛ لهذا كانت ثمار هذه التّربية مميّزة للنّاشئين عليها في هذا المجتمع عن غيرهم ممّن تربّى على موائد أخرى تفقد هذه السّمات .

لا ريب أنّ للمؤثّرات الثقافيّة الغازية للمجتمع المسلم آثارها المزحزحة عن الصّورة المفترضة للنّاشئ على هذه التّربية العالية لكن لما يزل من هذه الصّورة خير وفير .

هناك ارتباط بالفطرة وانشداد إليها بما فيها من قيم إيمانية وخلقية تجعلهم ينفرون بحسٍّ فطري من الصّور الحياتيّة التي تصادم هذه الفطرة ، والتي يبدو بها أتباعها سواء كانوا من الغربيّين أو من مقلديهم في هذه الصور الحياتية حيوانات تائهة عن هدف وجودها .

وهناك ارتقاء بالعقل نحو موقعه السّامي وتطهيره من الخرافات وتحريره من الاستخذاء لدجل المشعوذين ، والسّحرة ونحوهم من خلال مادة التّوحيد التي تجعل ارتباط العبد بالله حصناً له من أعدائه وتجعل الحركة الكونيّة حركة سببيّة قائمة على النّظر العقلي والاستقراء التّجريبي الذي تعرف بها خواص الأشياء وآثارها .

لا ريب أنّه قد ينخذل أناس بسبب نقص تربيتهم أو ضعف إيمانهم لكنهم يشعرون بسوء صنيعهم ويستخفون من الناس في ارتكاب أفعالهم استخداماً للسّحر ونحوه .

هناك أيضاً استقذار للفواحش والجرائم البشعة التي قد تقع شذوذاً أو تنقلها وسائل الإعلام المصوّرة من مجتمعات أخرى ، وقد يكون هذا

الاستقذار -بالذّات لشذوذ المنكر- كالزنا بالمحارم وقتل الوالدين ونحوها عاماً للناس بالنّظرة الإنسانيّة التي تستنكر هذه الفواحش، ولكن الفطرة لا تلبث أن تتضاءل حساسيّتها إذا تكرّرت هذه الجرائم أو فُلسفت من قبَل بعض الفلاسفة وأصحاب النّظريات المنحرفة ، أمّا نتاج التّربية الشّرعيّة فإنَّ هذه الفطرة تتزكى بما تتلقاه من تعاليم الوحي فيظل استنكارها واستقذارها لهذه الفواحش حياً قد يصل إلى انفعال الجسم عند سماعها فيقشعر جلده ، أو يوشك على التقيؤ ، ولا ريب أنّ وسائل الإعلام وبالذّات القنوات الفضائيّة تقوم بدور رهيب في مسخ هذه الفطرة وتمويت حيويّة تعاليم القرآن والسنّة في نفوس الناس من خلال عديد من برامجها التي تروّج للرذيلة بتكرار وإصرار لتبدو عاديةً في حياة الناس بل لتصبح هي الأصل، والفضيلة المناقضة هي الشذوذ الذي لا يتمثّله إلا معزول عن العصر يعيش مثاليّات بعيدة عن الواقع .